

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
 آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ
 كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فِيئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

زمر : جماعات^(١) جمعُ زمرة وهي الجماعة القليلة^(٢) .

فتحت أبوابها : السبعة^(٣) .

خزنتها : قوامها^(٤) جمع الخازن^(٥) والمراد حفظتها^(٦)

آيات ربكم : كتاب الله المنزل^(٧)

وينذرونكم لقاء يومكم هذا : وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا^(٨) .

وسيق الذين كفروا بعنف إلى جهنم في هيئة جماعات ومجموعات. حتى إذا
 جاءوها ووصلوا إليها فعلاً فتحت لهم أبواب السبعة على الفور، جرياً على العادة التي
 يعامل وفقها المجرمون إذ تفتح لهم حال الدخول - أو الخروج - أبواب السجون، للزج

(١) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني : " زمر " ١ / ٢٨٤ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٥) مفردات الراغب الأصفهاني : " خزن " ١ / ١٩٤ .

(٦) انظر مفردات الراغب الأصفهاني : " خزن " ١ / ١٩٤ .

(٧) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٨) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

بهم في أعماقها حال الدّخول، وللقذف بهم خارجها حال الخروج، لمواجهة المصير الأليم المنتظر. وبمقدار السرعة في فتح الأبواب السرعة في إغلاقها.

إنّ الحال التي يمرّ بها المجرمون ساعة دخول السّجون وسرعة فتح الأبواب لهم ومن ثمّ إغلاقها على الفور يذكّرنا بما القول في الآية الكريمة في وصف حال الكافرين ساعة دخول أبواب جهنم والعياذ بالله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ .

ويقابل خزنة جهنّم وقوأمها الكافرين في أثناء الدّخول وبعده بالتأنيب والتّقريع. ألم يأتكم يا داخلي جهنّم رسلٌ منكم ومن جنسكم كي تأنسوا إليهم وتفهموا منهم، يتلون عليكم آيات الكتاب العزيز، وينذرونكم إن لم تؤمنوا ما تلقون في يومكم هذا من خزي أكيدٍ وعذابٍ شديد! قال الكافرون بلى قد جاءتنا رسل ربّنا، وتلوا علينا آياته، وأنذرونا عذاب يوم القيامة ولكننا كذبنا واستهزأنا وأشركنا حتىّ توفّانا الله تعالى على الشرك فوجبت علينا كلمة العذاب بسبب كفرنا، وحق علينا قول ربّنا عزّ وجلّ:

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

قال خزنة جهنّم وملائكة العذاب لهم: ادخلوا أبواب جهنّم السبعة خالدين فيها بإذن الله تعالى، فبئس مأوى المتكبرين ومستقرّهم جهنّم عقاباً لهم على استكبارهم عن الإيمان، واستنكافهم السّجود للرّحمن .

(١) سورة هود ١١٩ ، وسورة السّجدة ١٣ .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
 وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
 خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
 الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

وسيق الذين اتقوا ربهم : وحُشِرَ الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب
 معاصيه في الدنيا وأخلصوا له فيها الألوهية وأفردوا له العبادة فلم يشركوا في عبادتهم
 إيّاه شيئاً^(١).

زمرًا : جماعات . فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفداً^(٢) جماعة بعد
 جماعة، المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلوئهم، ثم الذين يلوئهم كل طائفة مع من يناسبهم.
 الأنبياء مع الأنبياء، والصدّيقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع
 أقرانهم^(٣) وهكذا .

حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها، قالوا
 وللحال^(٤) وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكراماً لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم^(٥)
 وجواب الشرط محذوف تقديره اطمأنوا أو سعدوا^(٦) وطابوا وسرّوا وفرحوا بقدر كلِّ

(١) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٧ / ١٠٩ .

(٤) انظر الجلالين .

(٥) مغني اللبيب لابن هشام ٤٧٦ والجلالين .

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٧٦ .

ما يكون لهم فيه نعيم. وإذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل^(١).

سلام عليكم : أمانة من الله لكم أن ينالكم بعد مكرورة أو أذى^(٢).

طبتم : طابت أعمالكم في الدنيا فطاب اليوم مثواكم^(٣).

وأورثنا الأرض : وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله

في الدنيا فدخلوها ميراثاً لنا عنهم^(٤). تنبواً من الجنة حيث نشاء : نتخذ من الجنة بيتاً

ونسكن منها حيث نحب ونشتهي^(٥).

فنعم أجر العاملين : فنعم ثواب المطيعين لله العاملين له في الدنيا الجنة لمن

أعطاه الله إياها في الآخرة^(٦).

وسيق الذين اتقوا ربهم ودفَعوا عذابه بفعل الحسنات واجتناب السيئات حتى

بلغوا مرتبة التقوى الوجه الآخر للإحسان، وسيق الذين اتقوا عذاب ربهم إلى الجنة

جماعة إثر جماعة، الأمثل فالأمثل، المقربون، فالأبرار، فالصالحون، النبيون فالصديقون

فالشهداء فالصالحون بمختلف درجاتهم حتى إذا جاءوا الجنة ووصلوا إليها فعلاً وقد

فتحت أبوابها قبل مجيئهم إكراماً لهم امتلأت صدورهم بهجة، وقلوبهم سروراً، ونفوسهم

بشراً، وقال لهم حفظة الجنة وقوامها : سلام عليكم وأمن وطمانينة، طاب ثوابكم في

الجنة لطيب عملكم في الدنيا، فادخلوا الجنة خالدين فيها لا تخرجون منها ولا تتحولون

عنها فدخلوها بإذن ربهم عز وجل.

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ١١١ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ وانظر لسان العرب " ورث " .

(٥) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ .

(٦) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ .

وبعد أن دخل المتقون الجنة ورأوا نعيمها المقيم قالوا الحمد لله تعالى والثناء كله
 لربنا عز وجل الذي صدقنا وعده فأدخلنا الجنة التي وعدنا بها وتفضل بقبول أعمالنا
 الصالحة، والذي أورثنا أرض الجنة وخصنا بما كان مكاناً فيها لأهل النار لو أنهم آمنوا
 وعملوا الصالحات، وبدخولهم النار ورثنا تلك الأماكن بفضل الله تعالى علينا أن نزل
 من الجنة حيث نشاء ونشتهي، فأبي مكان نريد من الجنة حقاً لنا تنبؤاًه ونترل به وننعم
 فيه. فنعم أجر العاملين وثوابهم الجنة التي فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب بشر.

ويمكن أن نومي إلى مواطن البلاغة بالحذف على النحو التالي :
 حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم إكراماً لهم أن ينتظروا حتى تفتح
 لهم الأبواب امتلأت نفوسهم سروراً، وقلوبهم حبوراً.

وقال لهم حفظة الجنة سلاماً عليكم فادخلوها خالدين فدخلوها.

وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا أرض الجنة فنعم أجر العاملين الجنة.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

وترى الملائكة حافين من حول العرش : وترى يا محمد الملائكة محدين من حول

عرش الرحمن. ويعنى بالعرش السرير^(١) وعرش الرحمن ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا
 بالاسم^(٢).

(١) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٥ .

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني : " عرش " ٢ / ٤٢٨ .

وقضى بينهم بالحقّ : وقضى بين جميع الخلائق بالعدل^(١) .

وقيل الحمد لله رب العالمين : ونطق الكون أجمعه، ناطقه وبهيمه، لله رب العالمين
بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدلّ على أنّ جميع
المخلوقات شهدت له بالحمد^(٢) قال قتادة : افتتح الخلق بالحمد في قوله^(٣) : ﴿الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ واختتم بالحمد في قوله : ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)

وترى أيها الرسول الكريم والتّيّ العظيم الملائكة الكرام حافين من حول العرش
العظيم ومصدقين به ومحيطين يسبحون بحمد ربهم عزّ وجلّ قائلين : سبحان الله وبحمده،
وقضى الحقّ جلّ وعلا بين الخلائق بالعدل، فدخل المؤمنون الجنة بفضلهم، ودخل
الكافرون النار بعدله، وقال الكون كله، ناطقه وصامته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
وهكذا يكون الثناء لله تعالى انتهاءً : ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
كما يكون الثناء لله تعالى ابتداءً : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٥)

(١) الجلالين .

(٢) تفسير ابن كثير ٧ / ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٧ / ١١٥ وتفسير الطبري ٢٤ / ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١ .

** تعقيب :

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلقة بالسّورة الكريمة :

- ١- سورة الزّمر من المكيّ من القرآن الذي نزل قبل الهجرة^(١) .
- ٢- عدد آيات السّورة الكريمة خمسٌ وسبعون آية، وعدد كلماتها ألفٌ ومائة وسبعون كلمة، وعدد حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية حروف^(٢) .
- ٣- سورة الزّمر كغيرها من السّور المكيّة تُعنى بأسس العقيدة. إنّها تدعو إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له عزّ وجلّ والإيمان بالبعث والحساب والجزاء والتّصديق بالرّسول الكريم ﷺ وبالقرآن المجيد والاهتداء بهديه ووعيد الكافرين ووعد المؤمنين ولفت الانتباه إلى بعض مظاهر قدرة الحقّ جلّ وعلا كخلق السّماوات والأرض، وجعل الظّلمات والنور، وخلق الشمس والقمر والنّاس والأنعام وإنزال الماء من السّماء وإخراج الزّرع المختلف الألوان والثمار وتقرير عجز الآلهة المزعومة، والنّعي على المشركين شركهم ساعة الرّخاء وعدم إفراد الله تعالى بالعبادة والدّعاء إلا ساعة الشّدّة وإصرار المشركين على شركهم والصّدّ عن سبيل الله تعالى وضرب الأمثال لعلّ المشركين يتذكّرون وتسلية المصطفى ﷺ . إلى غير ذلك من مسائل تحمّ قضية التّوحيد، أهمّ أغراض القرآن الكريم.

- ٤- نزلت سورة الزّمر وسور آل حمّ السّبع التّالية في نسق وهي في المصحف الشريف في النّسق ذاته . وكلّ السور الثّمان من المكيّ من القرآن. وتبدأ آل حمّ بالقول (حم) أي بحرفين من الحروف المقطّعة . وسور آل حمّ

(١) انظر الإتقان ١ / ٤٣ تفسير غرائب القرآن ورجائب الفرقان للنيسابوري ٢٣ / ١١٩ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٢٣ / ١١٩ .

هي : غافر ، فصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف^(١) وسورة الزمر تبدأ بالقول ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ وهذه الآية الكريمة الأولى في سورة الزمر هي الآية الكريمة الثانية من سورتي الجاثية والأحقاف. وكما جاء الانتصار للقرآن الكريم في آل حم جاء الانتصار له في سورة الزمر. والمعروف أن كل السور التي تبدأ بالحروف المقطعة يجيء فيها الانتصار للقرآن الكريم على الفور أو على التراخي بدون استثناء. وبذلك يتبين أن سورة الزمر وحدها من بين السور الثمان التي نزلت في نسق ورُتبت في المصحف الشريف وفق النسق نفسه هي التي لا تبدأ بالحروف المقطعة. ووراء انفراد سورة الزمر بعدم ابتدائها بالحروف المقطعة حكمة . ويصح أن تكون الحكمة وراء حذف الحروف المقطعة في مطلع سورة الزمر إيحاءً إلى أهم صفة تمتاز بها سورة الزمر بأكثر من كل سور القرآن الكريم وهي صفة البلاغة بالحذف التي تتسم بها سورة الزمر بأكثر من أي سورة أخرى من سور القرآن الكريم، على نحو ما سوف يتبين بإذن الله تعالى لاحقاً. والله تعالى أعلم.

٥- القرآن الكريم أول موضوعات السورة الكريمة. إن تنزيل الكتاب الكريم من الله تعالى العزيز الحكيم، الذي نزله متلبساً بالحق وجعل الحق غايته وهي أن يعبد الناس ربّ العباد مخلصين له الدين. قال تعالى^(٢) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ

(١) انظر - مثلاً - الإتيان ١ / ٤٣ .

(٢) سورة الزمر ١ ، ٢٠ .

يَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ . قَالَ تَعَالَى (١) : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال تعالى (٢) : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ والله تعالى ضرب للناس في هذا القرآن الكريم من كلِّ مثلٍ لعلَّهم يتذكَّرون ويتعظون حينما يقرأون القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ويتدبرونه ويبادرون إلى نبد الشِّركِ واعتناق التوحيد. قال تعالى (٣) ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ والله تعالى نزل على محمد ﷺ القرآن الكريم بالحقِّ، وعلى الرِّسول ﷺ البلاغ، وكلُّ مسئولٍ عن اهتدائه أو ضلاله، وعلى الله تعالى الحساب. قال تعالى (٤) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْهَكَ فَلَئِنَّ نَفْسَهُ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ .

(١) سورة الزمر ٢٣ .

(٢) سورة الزمر ١٧ و ١٨ .

(٣) سورة الزمر ٢٧ - ٢٩ .

(٤) سورة الزمر ٤١ .

٦- أهم أهداف القرآن الكريم وأهداف السورة الكريمة توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده دون سواه. ولعل سورة الزمر الكريمة جاء فيها النص على إخلاص العبادة لله تعالى بأكثر من سائر سور القرآن الكريم. وتوحيد الله تعالى معناه نبذ الشرك والتعبد عن المشركين خروجهم عن الصراط المستقيم وتهديدهم ووعيدهم. جاء في وجوب إخلاص العبادة لله تعالى قول الحق جل وعلا (١): ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ وقال تعالى (٢): ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٥﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿٨﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٩﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۗ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٠﴾﴾ وقال تعالى (٣): ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ

(١) سورة الزمر ٢-٤ .

(٢) سورة الزمر ١١-١٦ .

(٣) سورة الزمر ٦٣-٦٧ .

كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي
 أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ
 لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ
 ﴿١٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾
 وقال تعالى (١) : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي
 تُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ
 تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو
 إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ وقال تعالى (٢) : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ
 دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
 وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكُمْ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُتَيْبِينَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ
 النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكُمْ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ ﴿١٦﴾
 والكافرون حقَّت عليهم كلمة الله تعالى بدخول النار . قال

(١) سورة الزمر ٦ - ٨ .

(٢) سورة الزمر ١٤ - ١٦ .

تعالى (١) : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ ﴿١٩﴾
 وويلٌ شديدٌ وعذابٌ أكيدٌ للقاسية قلوبهم عن ذكر الله تعالى. قال تعالى (٢) :
 ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ
 قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢١﴾ وللكافرين عذاب
 الخزي في الأولى والآخرة. قال تعالى (٣) : ﴿ أَفَمَنْ يَنْقِي بوجْهِهِ سُوٓءَ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ فَاذْنَبَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ولا أحد أظلم ممن
 كذب على الله تعالى فأشرك أو كذب بالقرآن الكريم . قال تعالى (٤) :
 ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُٓ أَلَيْسَ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ والكافرون يخوفون المصطفى ﷺ الذي
 عصمه الله تعالى من الناس، الآلهة العاجزة فعليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى وإلا
 أتاهم في الدنيا عذابٌ يخزيهم وحلٌّ عليهم في الآخرة عذابٌ مقيم. قال
 تعالى (٥) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِٓ وَمَنْ
 يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ

(١) سورة الزمر ١٩ .

(٢) سورة الزمر ٢٢ .

(٣) سورة الزمر ٢٤ - ٢٦ .

(٤) سورة الزمر ٣٢ .

(٥) سورة الزمر ٣٦ - ٤٠ .

اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٢٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
 كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي
 عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
 مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ والكافرون تنقبض قلوبهم لذكر الله تعالى والعياذ بالله وتنشرح
 لذكر الآلهة فلهم العذاب الأليم يوم القيامة. والمشركون يفردون الله تعالى
 بالعبادة ساعة الشدة فقط ووراء ذلك يشركون وتلهيهم أموالهم وأولادهم
 ونعيم الدنيا الزائل عن إفراد الله تعالى بالعبادة . قال تعالى (١) : ﴿ وَإِذَا
 ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ^(٢) وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
 مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
 وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا
 مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ

(١) سورة الزمر ٤٥ - ٥٢ .

(٢) جاءت لفظة : (جميعاً) في السورة الكريمة أربع مرّات وذلك في الآيات الكريّمات ٤٤ و ٤٧ و ٥٣ و ٦٧ .

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
 هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦١﴾ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾
 وحينما يندم الكافر يوم القيامة أشدَّ الندم على ما فرط في جنب الله تعالى
 ويتمنى العودة إلى الحياة الدنيا كي يعمل صالحاً يتبين أنه لا يفيد الندم ولا
 التمني وتكون جهنم مثواه. قال تعالى (١) : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي
 فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى
 الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
 ﴿٦٠﴾ والشرك يطل كل عمل صالح لأنه فقد شرط الإخلاص لله تعالى .
 قال تعالى (٢) : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرَتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ
 إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ
 ﴿٦٢﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
 وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ يَمِيْنِهِ
 سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴿٦٤﴾ ومصير الكافرين النار وبئس القرار .
 قال تعالى (٣) : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرًى حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا

(١) سورة الزمر ٥٩ - ٦٠ .
 (٢) سورة الزمر ٦٤ - ٦٧ .
 (٣) سورة الزمر ٧١ و ٧٢ .

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

مما سبق يتأكد ما سبق أن تقرّر بأن توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له عزّ
وجلّ وحده دون سواه أهمّ أغراض سورة الزمر المكيّة، بل أهمّ أغراض القرآن الكريم.
إنّ القرآن الكريم ثلثٌ توحيد، وثلثٌ قصص، وثلثٌ أحكام. ويهدف الثلثان الأخيران
إلى تأكيد معنى التوحيد.

٧- كما كان في السّورة الكريمة إنذاراً للكافرين كان فيها تبشيرٌ للمؤمنين. وكان
طابع الإنذار واضحاً في السّورة الكريمة لأنّ المشركين قبل الهجرة كانت
لهم الشّوكة. أمّا المؤمنون فقد كانوا قلّةً ومستضعفين في الأرض .
والآيات الكريمة في تبشير المؤمنين أسهمت في بناء تلك القلّة المؤمنة التي
سادت الأمة بعد ذلك وقادت العالم. إنّ هؤلاء المؤمنين قانتون عالّمون
متّقون محسنون صابرون . قال تعالى (١) : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءانَاءَ اللَّيْلِ
سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا رَبِّكُمْ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ والمؤمنون يجتنبون الشرك بكلّ صورته ويهتدون بنور

(١) سورة الزمر ٩ و ١٠ .

القرآن الكريم. قال تعالى (١) : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَتْلُوا أَلَّا تَبْ ﴿١٨﴾ ﴾ وثواب المؤمنين في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية قال تعالى (٢) : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنفَعُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْبُتَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿١٦﴾ ﴾ والمؤمنون قد شرح الله تعالى صدورهم للإسلام وتطمئن قلوبهم لذكر الله تعالى وبخاصة حينما يتلون أحسن الحديث . قال تعالى (٣) : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ ﴾ الله نزل أحسن الحديث كنبأ مُتَشَبِّهًا مَّتَابِي نَقَشَعُرٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٦﴾ ﴾ والمؤمنون يصدقون النبي ﷺ والقرآن الكريم ويحسنون العمل فلهم ثواب إحسانهم. قال تعالى (٤) : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ يُكْفِرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ والله تعالى ثبت المؤمنين

(١) سورة الزمر ١٧ و ١٨ .

(٢) سورة الزمر ٢٠ .

(٣) سورة الزمر ٢٢ و ٢٣ .

(٤) سورة الزمر ٢٣ - ٣٥ .

على المحجة البيضاء. قال تعالى (١) : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ

اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (٢٧) ﴿ والمتقون ينجيهم الله تعالى يوم القيامة من سوء العذاب بسعادتهم وبما سبق إليه علم الله تعالى فوزهم ونجاحهم. قال تعالى (٢) :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْقَاتِ النُّجُومِ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١) ﴿ والمتقون يُحْشَرُونَ إلى الجنة وفداً مكرماً مبجلاً تُفْتَحُ لهم أبواب الجنة الثمانية قبل

أن يصلوا إليها إكراماً لهم ويدخلونها خالدين. قال تعالى (٣) : ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا

وَعَدَهُ وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٧٤) ﴿

٨- إذا كانت الحياة الدنيا دار العمل ولا جزاء فإن الآخرة دار الجزاء ولا عمل.

وكان حديث السورة الكريمة عن يوم القيامة مستفيضاً على نحو ما مر بنا.

ويمكن الإيماء إلى بعض المعاني المتعلقة بيوم القيامة في السورة الكريمة. إن الله

تعالى يحكم بين الخلائق فيما هم فيه يختلفون من شئون الدين (٤) وإلى الله تعالى

مرجع الخلائق يوم القيامة فينبئهم بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا (٥)

والخاسرون على الحقيقة هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول

(١) سورة الزمر ٣٧ .

(٢) سورة الزمر ٦١ .

(٣) سورة الزمر ٧٣ و ٧٤ .

(٤) سورة الزمر ٣ .

(٥) سورة الزمر ٧ .

النَّارِ (١) وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ مَيِّتُونَ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُخْتَصِمُونَ (٢) وَمَبْدَأُ الْفِدَاءِ مِنَ الْعَذَابِ مَرْفُوضٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَذَابُ وَقَعَ بِالظَّالِمِينَ (٣) وَوَجْهُهُ الْكَافِرِينَ مَسْوَدَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَهَنَّمُ مِثْوَاهُمْ (٤) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَاقُ الْكَافِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ بَعْفًا، وَيُحْشَرُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِلُطْفٍ (٥) وَهَذِهِ آيَةُ الْكُرَيْمَةِ تَخْتَمُ السُّورَةَ الْكُرَيْمَةَ وَيَخْتَمُ الْحَدِيثُ عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى (٦): ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ .

٩- آيات الله تعالى الكونية دوراً في السورة الكريمة لحمل الناس على التفكر فالإيمان. إن الله تعالى هو الخالق المدبر لقد خلق الله تعالى السماوات والأرض، وكور الليل على النهار فطال الليل وبالعكس، وسخر الشمس والقمر، وخلق الناس، وخلق الأنعام، وخلقنا في بطون أمهاتنا خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث هي ظلمة البطن، والرحم، والكيس الذي فيه الجنين قال تعالى (٦): ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٧٥﴾﴾

(١) سورة الزمر ١٥ .

(٢) سورة الزمر ٣٠ و ٣١ .

(٣) سورة الزمر ٤٧ و ٤٨ .

(٤) سورة الزمر ٦٠ .

(٥) سورة الزمر ٧١-٧٤ .

(٦) سورة الزمر ٧٥ .

(٦) سورة الزمر ٥ و ٦ .

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ
 أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ
 اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنِ تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾ * والله تعالى بيده
 مفاتيح السماوات والأرض. وقال تعالى (١): * اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ
 اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ *

١٠ - إنَّ كَفَّارَ مَكَّةَ يَقْرَوْنَ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله عزَّ وجلَّ
 من خلقٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ، وما إلى ذلك. قال تعالى (٢): * وَلَٰئِن
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٦٢﴾ * ولا ينفع المشركين
 إقرارهم بتوحيد الربوبية لأنهم لا يقرّون بتوحيد الألوهية، وهو توحيد الله
 تعالى بأفعال العباد من عبادةٍ وذبحٍ ونذرٍ ودعاءٍ وما إلى ذلك. إنهم يشركون
 مع الله تعالى غيره في العبادة. ومعروفٌ أنَّ الشُّرك هو الذُّنب الوحيد الذي لا
 يغفره الله تعالى. إنَّ المشركين إنَّما يقرّون بتوحيد الله تعالى وذلك بإفراد الله
 تعالى بالعبادة والدعاء في وقت الشدّة فقط. قال تعالى (٣): * وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا

(١) سورة الزمر ٦٢ و ٦٣ .

(٢) سورة الزمر ٣٨ .

(٣) سورة الزمر ٨ .

إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤٨﴾ وقال تعالى (١) : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ .

١١- من مظاهر قدرة الله تعالى توفّي الأنفس حين موتها والتي لم تمت يتوفاها في منامها بمعنى يستوفي قدرتها على التمييز بالنوم. قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَكٍ الَّتِي فَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ وفي مقابل قدرة الله تعالى المطلقة العجز التام للآلهة الزائفة. وإلى بعض العجز أشارت الآيات الكريمة ٣٨ و ٤٣ و ٤٤ .

١٢- إن أكثر آية في القرآن الكريم فرجاً في سورة الغرف (٢) قال تعالى (٣) : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ .

(١) سورة الزمر ٤٩ .

(٢) يعني سورة الزمر فهي تُسمى أيضاً الغرف . تفسير ابن كثير ٧ / ٩٩ .

(٣) سورة الزمر ٥٣ .

١٣- الظاهرة البلاغية التي تتجلى في سورة الزمر بأكثر من سائر سور القرآن ظاهرة البلاغة بالحذف . وسبق أن أومأنا إلى أن هذه الظاهرة البلاغية بالحذف ربما أومأ إليها ونبه عليها عدم مجيء الحروف المقطعة في أول السورة الكريمة خلافاً لسور آل حم السبع بعد ذلك رغم كون السور الثمان، ابتداءً بسورة الزمر، وانتهاءً بسورة الأحقاف قد نزلت في نسق، وهي مرتبة في المصحف الشريف وفق هذا النسق.

ونودّ أن نمرّ سريعاً على مواطن البلاغة بالحذف في السورة في ضوء محاولتنا حصر هذه المواطن .

جاء في الآية الكريمة التالية عن المشركين القول : ﴿ وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم، يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا.

وجاء في الآية الكريمة السادسة القول : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ زَوْجٍ ﴾ والتقدير، والله أعلم ، وخلق الله تعالى لكم أيها الناس الأنعام، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها فأنبئت من كل زوج بهيج، فأكلت الأنعام من نبات الأرض وشربت من ماء السماء.

وجاء في الآية الكريمة السابعة القول : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ والتقدير والله تعالى أعلم، إن تكفروا أيها الناس فإن الله تعالى غني عنكم وأنتم الفقراء إلى الله تعالى. ولا يرضى عز وجل لعباده الكفر. وإن تشكروا أيها الناس لله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة وتفردوه بالعبادة التي يستحقها وحده دون سواه فإن الله تعالى شكورٌ حلِيم، ويرضى لعباده الشكر. ومما

عمق من البلاغة بالحذف في الآية الكريمة عدم إشباع ضمة الهاء في القول : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا بِرِضَتِهِ لَكُمْ ﴾ .

وجاء في الآية الكريمة التاسعة القول : ﴿ آمَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، بل آمن هو خاشع في صلاته ساعات الليل ساجداً حيناً، وقائماً حيناً آخر، يحذر عذاب الله تعالى في الآخرة في النار، حينما يتلو آيات العذاب، ويرجو رحمة ربه عز وجل، حينما يتلو آيات الرحمة في الصلوات وفي غير الصلوات، كمن هو عاصٍ مصرٌّ على كفره واستهزائه وصدّه عن سبيل الله تعالى.

وجاء في الآية الكريمة العاشرة حذف الياء للتخفيف بسبب قراءة الوصل^(١) قال تعالى : ﴿ قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ والتقدير : يا عبادي.

وجاء في الآية الكريمة السابعة عشرة حذف ياء المتكلم أيضاً للتخفيف بسبب قراءة الوصل. قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ ﴾ والتقدير : فبشّر عبادي .

وجاء في الآية الكريمة التاسعة عشرة القول : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، أفمن حقّ عليه كلمة العذاب بدخول النار فأنت تخلّصه يا محمّد. أفأنت تنقذ يا محمّد من هو في النار فعلاً.

وجاء في الآية الكريمة الحادية والعشرين القول : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأدخله في الأرض عيوناً وأخرجه ينابيع تجيش بالماء العذب الفرات .

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٢٨ .

وجاء في الآية الكريمة ذاتها القول ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، ويخرج به ثمرًا مختلفًا ألوانه وأشكاله وطعمه وريحه.

وجاء في الآية الكريمة ذاتها القول : ﴿ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا ﴾ ثم يجفّ ذلك الزرع ويصفرّ ويموت ويغدو حطاماً وهشيماً تذروه الرياح.

وجاء في الآية الكريمة الثانية والعشرين القول : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، كمن أراد الله تعالى أن يضلّه، ثمرة نكدة لحرصه على الضلالة، فهو في ظلماتٍ من الشيطان الرجيم والنفس الأمارة بالسوء.

وجاء في الآية الكريمة ذاتها القول : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فويلٌ للقاسية قلوبهم عن (١) ذكر الله ، أولئك في ضلالٍ مبين، وهنيئاً للمطمئنة قلوبهم بذكر الله، أولئك هم المهتدون.

وجاء في الآية الكريمة الرابعة والعشرين القول : ﴿ أَفَمَنْ يَلْقَى بُوجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم ، أفمن يلقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة حينما يلقي في النار على حرّ وجهه كمن يأتي آمناً مطمئناً يوم القيامة؟ وقيل للظالمين ذوقوا عقاب ما كنتم تكسبون في الدنيا من سيئات. وقيل للمتقين هذا ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا من حسنات.

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ١٣٤ .

وجاء في الآية الكريمة السادسة والعشرين القول : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ ولعذاب الآخرة أكبر في نار جهنم، لو كانوا يعلمون ذلك المصير الأليم لفرّوا إلى الله تعالى فآمنوا وعملوا صالحاً.

وجاء الجواب : " لا " محذوفاً لأنّه معروف، وذلك بشأن السّؤالين في الآية الكريمة الثامنة والثلاثين. قال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ﴾ .

وجاء في الآيتين الكريمتين التاسعة والثلاثين والأربعين القول : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم، فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه في الدنيا كهزيمة بدر، ومن يحل عليه عذابٌ مقيمٌ في الآخرة في نار جهنم.

وجاء في الآية الكريمة الثالثة والأربعين القول : ﴿ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ قل أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرراً ولا يعقلون شيئاً !

وجاء في الآية الكريمة الثالثة والسبعين القول : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم، وقد فتحت لهم أبوابها اطمأنوا وسعدوا وطابوا وقال لهم خزنتها.

وجاء في الآية الكريمة ذاتها : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ﴿٧٢﴾ والتقدير، والله تعالى أعلم، فادخلوها فدخلوها .

وجاء في الآية الكريمة الخامسة والسبعين والأخيرة من سورة الزمر القول : ﴿ وَتَرَى
 الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والمعنى، والله تعالى أعلم ، وقال الكون كله، ناطقه وصامته،
 لدخول الكافرين النار بعدل الله تعالى، ودخول المؤمنين الجنة بفضل الله تعالى :
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

١٤ - لكلِّ سورةٍ من سور القرآن الكريم صفاتٌ خاصَّةٌ بها إضافةً إلى الصفات
 الأخرى المشتركة بين كلِّ سور القرآن الكريم. إنَّ السُّورةَ الكريمةَ بمثابة
 الحديقة الغنَّاء التي لها صفاها الخاصَّة بها والصفَّات المشتركة مع سائر الحدائق.
 وكما لا تُتفق حديقتان اثنتان في جميع الصفَّات لا تتفق سورتان اثنتان كريمتان
 كذلك. ونودُّ استعراض السُّورة الكريمة منبهين على محورها وهو توحيد الله
 تعالى، وعلى سائر موضوعاتها وقضاياها التي تخدم ذلك المحور، ومشيرين إلى
 مظاهر الترابط بين تلك الموضوعات والقضايا ووحدة السُّورة الكريمة عضوياً.
 تقرّر السُّورة الكريمة ابتداءً أنَّ القرآن الكريم تنزيلٌ من الله تعالى العزيز في ملكه
 الحكيم في صنعه. وكان الابتداء بالقرآن الكريم لأنَّه الأقدَر على الهداية إلى الطَّريقة التي
 هي أقوم من كلِّ آيةٍ أخرى مادِّية ولو كانت السَّمَاوات والأرض، أو معنويَّة.
 ومعروفٌ أنَّ القرآن الكريم معجزة المصطفى ﷺ الكبرى. والله تعالى أنزل هذا الكتاب
 العزيز بالحقِّ، من أجل غايةٍ جليَّةٍ هي الحقُّ، وذلك بتوحيد الله تعالى وإفراده عزَّ وجلَّ
 بالعبادة، ومن هنا كان الأمر للمصطفى ﷺ، الأسوة الحسنة للمؤمنين، بأن يعبد الله
 تعالى وحده مخلصاً له الدين. وهكذا يتعيَّن الهدف من إنزال القرآن الكريم وهو الهداية

إلى إفراد الله تعالى بالعبادة. والمعروف أن القرآن الكريم توحيدٌ وقصصٌ وأحكام، وأن القصص والأحكام يخدمان قضية التوحيد، الهدف الأسمى للقرآن الكريم.

وتعلن السورة الكريمة على رؤوس الأشهاد: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ ويكون هذا الإعلان في هذه السورة الكريمة في وقت كان المشركون هم الذين لهم الكلمة في مكة، أمّا المؤمنون فإنهم مستضعفون في الأرض. ومن أجل حمل المشركين على نبذ الشرك واعتناق التوحيد كان في السورة الكريمة حديثٌ مستفيضٌ عن المشركين، وتقليبٌ للكلام عنهم على الكثير من أوجه القول وضروب التعبير من وعيدٍ ووعد. إن الذين اتخذوا من دون الله تعالى آلهةً يقولون ما نعبد هذه الآلهة، التي صنعناها على هيئة الملائكة كما تصورناها، إلا لتقربنا إلى الله تعالى زلفى وترفع منزلتنا عنده حينما نسأله حظنا من الدنيا. لقد كان القوم لا يؤمنون بالبعث. وفي دعوتهم إلى توحيد الله تعالى دعوةً ضمنيةً لهم للإيمان بالبعث والحساب والجزاء يوم القيامة، وعمل الصالحات في هذه الحياة الأولى. إن الله سبحانه وتعالى سوف يحكم بينهم فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا في شؤون الدين. أمّا المصرون على الكذب بنسبة الولد والصاحبة والشريك إلى الله تعالى، على تكذيب النبي الكريم والقرآن العظيم فإن الله سبحانه وتعالى لا يوفقهم للهداية بل يزيد بصائرهم عمىً إلى عماها. وبذلك يكون بعض المشركين قد وفقهم الله تعالى إلى الهدى، وهم المستعدون لاعتناق الإسلام، وبعضهم لم يوفقه الله تعالى وهم المصرون على الكذب والتكذيب والكفر. وكأن الكفر دركات، وكأن السورة الكريمة قد أومأت إلى تلك الدركات، وذلك حينما نتبين أن من هؤلاء المشركين من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة.

ولا يكاد ينتهي العجيب من مشركي مكة ومشركي العرب الذين تحيلوا للملائكة صوراً صاغوا أصنامهم وفقها وعبدوها وزعموا أن الملائكة بنات الله تعالى: ﴿كَبُرَتْ

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ (١) إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَوْ أَرَادَ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ غَيْرَ الَّذِي اخْتَارَهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ
وغيرهم الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ وَلَدًا. تَنْزِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ
وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي ذَلَّتِ الرَّقَابُ
لِسُطُوتِهِ، وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ.

وبقصد حمل المشركين على اعتناق عقيدة التوحيد بلفت الانتباه إلى خلق الله تعالى
هذا الملكوت وتعيين بعض من عناصره. ولما كان خلق السموات والأرض أكبر من
خلق الناس بنص القرآن الكريم كان ثمة نص على خلق الله تعالى السموات والأرض
وتكوير الليل على النهار وتغطيته له أو لجزء منه، وتكوير النهار على الليل، وتسخير
الشمس والقمر، كما كان ثمة تحول إلى الإنسان فالأنعام. فثمة تدرج في عملية الخلق
من السموات والأرض ومتعلقتهما إلى الإنسان إلى الأنعام. ولما كانت عملية خلقنا في
بطون أمهاتنا إحدى عجائب الخلق التي تحياها البشرية آناء الليل والنهار، كان ثمة نص
في صورة الزمر وحدها على الظلمات الثلاث، ظلمة الرحم، والبطن، والكيس الذي
يولد فيه الجنين والذي يسمّى بالمشيمة.

إِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الْكَافِرِينَ، الْغَفَّارُ ذُنُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ وَكُلِّ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَأَيْنَ
تُصْرَفُونَ عَنْ الْهُدَىٰ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِلَى الضَّلَالِ. وَكَيْفَ جَازَ لَكُمْ وَأَنْطَلَىٰ عَلَى
عُقُولِكُمْ أَنْ تُصْرَفُوا الْعِبَادَةَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْإِلَهَةِ الْعَاجِزَةِ .

ويصر الكافرون على كفرهم ويخاطبون في أسلوب يجمع بين الوعد والوعيد: إِنْ
تَكْفَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادَةِ الْكُفْرِ، وَإِنْ تَشْكُرُوا لَهُ

(١) سورة الكهف ٥ .

بإفراده بالعبادة يرضى الشكر لكم ويثيبكم. ولا تزر نفس آثمة إثم نفسٍ أخرى، فكلُّ مسئولٍ عن كلِّ ما يصدر عنه من قولٍ أو فعل. ثمَّ إلى ربِّكم عزَّ وجلَّ مرجعكم فينبئكم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا. إنَّه عزَّ وجلَّ علِيمٌ بذات الصدور ودخائل النفوس ومن باب الأخرى والأولى كلُّ قولٍ أو فعل.

إنَّ كفَّار مكة ومن شاكلهم يقرُّون بتوحيد الرّبوبيّة، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله، فهو الخالق الرّازق القدير العليم. على نحو ما تبين من الآيات الكريمة السّابقات. أمّا توحيد الألوهيّة، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد من دعاء ورجاء وقصد ونذر وما إلى ذلك فإنهم يشركون مع الله تعالى في العبادة الآلهة المزعومة. ومثي يقرُّ المشركون بتوحيد الألوهيّة؟ ساعة الشدّة فقط! ولماذا ساعة الشدّة فقط؟ لأن المشركين يتأكدون ساعة الشدّة في عجز الآلهة. فينسونها ويتجهون إلى الله تعالى وحده بالدعاء والعبادة. فإذا زالت الشدّة نسي المشركون الله تعالى وعادوا إلى عبادة الآلهة العاجزة وهكذا دواليك. ولا يفتن المشركون لغفلتهم وغبائهم، ويعودون إلى الشّرك دون حياءٍ أو خجل، ويجعلون لله تعالى أنداداً، بل ويصدّون عن سبيل الله تعالى الذي كشف عنهم الضّرّ، وينصرون الأصنام والأوثان. وتجاه عمى البصيرة هذا الذي ليس وراءه مزيد يجيء الأمر: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ .

واستمراراً للوعد والوعيد يقارن بين المؤمنين والكافرين في الحال والمآل، في الأولى والآخرة، في الجنّة والنار. بل أمّن هو قانت في صلاته، خاشع في أدائها محقق شروطها ساعات الليل والنهار ساجداً حيناً وقائماً حيناً آخر، يحذر الآخرة حينما يتلو آيات العذاب، ويرجو رحمة ربّه حينما يتلو آيات الثواب كمن هو عاصٍ لله تعالى يسرح آناء الليل ويمرح آناء النهار!

قل يا محمد ويا أيها المؤمن هل يستوي الذين يعلمون حق الله تعالى عليهم والذين لا يعلمون. إنما يتعظ أولو العقول الرَّاجحة. أما قلوب الكافرين فحجارةٌ أو أشدَّ قسوةً أمّا عقولهم فهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً .

ويكون بالمتقين فرط عناية كي يتحوّل الكافرون مؤمنين متقين. قل يا محمد على لساني لعبادي الذين يضافون إليّ إضافة تشریف : يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الحياة الدّنيا حسنةً في الأولى بالحياة الطّيبة، وفي الآخرة بالجنّة. وأرض الله واسعة. فعليكم أيّها المؤمنون بالهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان حينما يحال بينكم وبين عبادة الله تعالى بمطلق الحرّية. وفي هذا القول : ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَهُ ﴾ إيماءٌ إلى الهجرة وحثٌ عليها. إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب. وليس في القرآن الكريم أكبر من هذا الثواب للصّابرين .

ولما كان محمدٌ ﷺ إمام المتقين، والأسوة الحسنة للمؤمنين أمر عليه الصّلاة والسّلام بإخلاص العبادة لله تعالى، والمقصود وراء ذلك أمته عليه الصّلاة والسّلام. قل يا محمد إنّي أمرت أن أعبد الله تعالى مخلصاً له الدّين، ولأن أكون أوّل المسلمين من أفراد هذه الأمة، وإنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم القيامة العظيم، والله تعالى وحده دون سواه أخلص له ديني وأخصّه بالعبادة.

أمّا أنتم أيّها المشركون فاعبدوا ما شئتم من دون الله تعالى. ولا يخفى ما في هذا القول من التّهديد والوعيد.

قل يا محمد، إنّ الخاسرين هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول نار جهنّم. ألا ذلك هو الخسران المبين حقاً. هؤلاء المشركون لهم من فوقهم ظلٌّ من النّار مسوكة بيد القدرة الإلهية ومن تحتهم ظلٌّ من النّار. ذلك العذاب الأليم يخوّف الله تعالى به عباده. يا عبادي فاتقوا عذابي بالإيمان وعمل الصّالحات حتّى تبلغوا مرتبة التّقوى.

والذين اجتنبوا عبادة كل ما يُعبد من دون الله تعالى وتابوا إليه عز وجل وأنابوا لهم
البشارة في الدنيا بدخول الجنة في الآخرة فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه، وهو القرآن الكريم. أولئك الذين هداهم الله تعالى ووفّقهم، وأولئك
هم أولو العقول الرَّاجحة.

ولا يخفى اشتداد الوعد هنا على غرار اشتداد الوعيد هنالك ويتّضح الوعيد شديداً
في القول: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ^(١٩) والمعنى،
والله تعالى أعلم، أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بدخول
النار فأنت تخلّصه؟ أفأنت تستطيع يا محمد أن تهديه فتشرح صدره للإسلام فتنقذه من
النار؟ وبقدر التهديد في هذا القول للمشركين والوعيد تسليّة للمصطفى ﷺ وتثبيتاً
للفؤاد. إن عليك يا محمد البلاغ وحده وعلينا الحساب.

وفي مقابل الظلل من النار للمشركين ثمّة العُرف للمتقين التي فوقها الغرف تجري
من تحتها الأنهار. وعد الله تعالى الذي يخلف الميعاد.
واللّطيف أنّ سورة الزّمر تسمّى سورة العُرف بسبب مجيء لفظة: "عُرف" ^(٢٠)
مرتين اثنتين في الآية الكريمة العشرين.

ويصرّ الكافرون على كفرهم رغم كلّ هذه العظات البالغات ويصرّف القرآن لهم
القول. ولما كان الكافرون قد جعلوا الحياة الدّنيا منتهى همّهم فإنّ السّياق بيّن لهم
حقيقة الحياة الدّنيا وأنها متاع الغرور. ألم تر يا محمد ويا أيها الإنسان أنّ الله تعالى
أنزل من السّماء ماءً فسلكه في الأرض عيوناً وأخرج منه ينبوع فوّارة جيّاشة، ثمّ يخرج به
زرعاً مختلف الألوان وثماراً، ثمّ يهيج الزّرع ويدبل فتراه مصفراً ثمّ يجعله حطاماً وهشيماً
تذروه الرّياح. إنّ هذا هو مثل الحياة الدّنيا. وإنّ في ذلك لعظة لأولي العقول الرَّاجحة.
ويلاحظ أنّ تشبيه الحياة الدّنيا الفانية بالزّرع الذي يصير بعد الحُضرة والنّضرة حطاماً

وهشيماً لم يُنصَّ فيه على ضرب المثل، ولكن ضرب المثل مفهومٌ من النصِّ عليه في الآية الكريمة الرابعة والعشرين من سورة يونس، والآية الكريمة الخامسة والأربعين من سورة الكهف. وسوف ينصُّ السياق على ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم والهدف من ذلك.

ويقارن السياق بين المؤمنين المطمئنة قلوبهم بذكر الله تعالى والكافرين القاسية قلوبهم عن ذكر الله تعالى . إنه لا يستوي من شرح الله تعالى صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه ومن جعل الله تعالى صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وجعل قلبه قاسياً عن ذكره عزّ وجلّ. إنّ الأولين في طريق مستقيم وإنّ الآخرين في ضلالٍ مبين. إنّ المؤمنين يذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً، وإنّ خير مسعف لهم على ذكر الله تعالى الكتاب العزيز الذي يهتدون بهديه. إنّ الله تعالى نزل أحسن الحديث كتاباً يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً وتكرّر فيه المعاني، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم وتعلوها رعدة وانكماش خوفاً من آيات العذاب، ثمّ تلين تلك الجلود وتنبسط، تستقرّ القلوب وتطمئن إلى ذكر الله تعالى، طمعاً في فضله عزّ وجلّ عند تلاوة آيات الرّحمة. ذلك الكتاب العزيز هدى الله تعالى يهدي به من يشاء من عباده. ومن يضل الله تعالى فلا هادي له. والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق التي لا يملكها إلاّ الله تعالى، أمّا هداية الدلالة والإرشاد فإنّ كلّ الدّعاة إلى الله تعالى يملكونها بفضله عزّ وجلّ .

لقد أعرض الكافرون عن آيات الكتاب العزيز حتّى ماتوا على الكفر والعياذ بالله فدخلوا النار. ويسأل السياق: أفمن يلقي نار جهنم بحرّ وجهه يوم القيامة حينما يُكبُّ على وجهه في النار خيرٌ أم من ينعم في الجنان؟ وقيل للمشركين ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من آثام. لقد كذب الذين من قبلي كفّار مكّة فأتاهم العذاب من حيث لا

يشعرون ولا يحتسبون. فأذاقهم الله تعالى الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة في نار جهنم أكبر لو كانوا يعلمون ذلك العذاب الأليم لآمنوا.

ولقد ضرب الله تعالى للناس في هذا القرآن الكريم من كلِّ مثلٍ لعلَّهم يتّعظون. إنَّه قرآنٌ كريم، بلسانٍ عربيٍّ مبين، واضح المعاني، بليغ المباني، ليس فيه اضطرابٌ ولا اختلاف، لعلَّ النَّاس يتَّقون الله تعالى بطاعته والعمل على بلوغ مرتبة التَّقوى. وقد عرفنا أنَّ من الأمثال ما لم يُذكر فيه ضرب المثل على نحو تشبيه الحياة الدنيا العُرور الفانية بالزرع الذي يعود حطاماً وهشيماً على نحو مرِّ بنا. وقد ضربت السُّورة الكريمة مثلاً للمشرك بالعبد الذي له سادةٌ كثيرون متنازعون فلا تتناسق طلباتهم منه ولا يستطيع العبد أن يرضي واحداً منهم. وضربت مثلاً للمؤمن بالعبد الذي له سيِّدٌ واحدٌ له طلباتٌ محدَّدة إن لم يستطع العبد القيام بما أعانه سيِّده عليها أو عفا عنه بفضله، أو عاقبه بقدر تقصيره وذنبه بعدله. وبطبيعة الحال لا يستوي المثان كما لا يستوي المؤمن والكافر. الحمد لله تعالى لوضوح المثلين، ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون تلك المعاني السَّامية والأهداف النَّبيلة. والعجيب في أمر كفَّار مكَّة أنَّهم بدلاً من أن يبادروا إلى اعتناق دين الإسلام يتربصون بالنبيِّ ﷺ ريب المنون وكأنَّهم خالدون، وكأنَّهم ناجون من عذاب يوم القيامة . إنك يا محمد ميت وإنهم ميتون. ثم إنكم يوم القيامة عند ربِّكم عزَّ وجلَّ تختصمون فيحكم بينكم بالعدل.

ويصرُّ المشركون على الشرك وعلى تكذيب القرآن الكريم الموحى به من ربِّ العالمين. ويقرِّر السِّياق أنَّه لا أحد أظلم ممَّن كذب على الله تعالى فأشرك، وكذب بالقرآن الكريم إذ جاءه على لسان المصطفى ﷺ . أليس في جهنم مأوىً للكافرين؟ بلى والذي جاء بالصدِّق وهو محمَّد ﷺ وصدِّق به وهم أمته عليه الصَّلَاة والسَّلَام، أولئك هم المتَّقون. لهم ما يشاءون عند ربِّهم عزَّ وجلَّ ويشتهون. ذلك جزاء الذين أحسنوا

أعمالهم ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا وقتاً من الأوقات ثم تابوا توبةً نصوحاً،
وليجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا من حسنات.

والعجيب في أمر الكافرين أنهم يخوفون النبي ﷺ غضب آلهتهم عليه، ويبيّن الحقّ
جلّ وعلا أنّه مانعٌ حبيبه أذى الأشرار وكيد الفجار، وأنّ الذي يضلله الله تعالى لا
هادي له، والذي يهديه لا مضلّ له. والله تعالى هو العزيز في انتقامه من الكفار.

ويقروّ المشركون بتوحيد الرّبوبيّة لأنّك حينما تسألهم : من خلق السماوات
والأرض يقولون : الله تعالى، ولا يقرّون بتوحيد الألوهيّة، لأنّهم يشركون الآلهة مع الله
تعالى في العبادة، رغم اعترافهم بعجز الآلهة. إنّ الله تعالى إذا أراد إنساناً بضراً لا
تستطيع الآلهة كشفه، ولو أراد برحمة لا تستطيع إمساك تلك الرحمة. قل يا محمّد،
حسي الله تعالى وكافي، عليه يتوكّل المتوكّلون. أمّا أنتم ايها المشركون فاعملوا على
حالكم إنّني عاملٌ على حالي. فسوف يعلمون من يأتيه عذابٌ يجزيه في الدنيا ويحلّ
عليه عذابٌ مقيمٌ في الآخرة.

ويعود الحديث إلى القرآن الكريم مع وعد المهتدين ووعيد الضالّين. إنّ الله سبحانه
وتعالى أنزل القرآن الكريم على حبيبه ﷺ بالحقّ ليهدي النّاس إلى الصراط المستقيم،
فمن اهتدى فلنفسه اهتداؤه، ومن ضلّ فعلى نفسه ضلاله، وليس محمّدٌ ﷺ وكيلاً على
النّاس وحفيظاً كي يرغمهم على قبول الهدى.

وإزاء إصرار الكافرين على الضلال يتحوّل السّياق إلى ذكر مظهرٍ آخر من مظاهر
قدرة الله تعالى كي يتأكد للمشركين عجز آلهتهم. إنّ الله تعالى يستوفي عمر النّفس
التي قضى عليها الموت ويستوفي تمييز النّفس التي لم تمت في منامها. فيمسك النّفس التي
قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى موعدٍ مضروب. إنّ في ذلك لآياتٍ دالّاتٍ على
قدرة الله تعالى لقومٍ يتفكّرون.

ويصّر المشركون على عبادة الآلهة العاجزة وها هم أولاء يتخذون تلك الآلهة شفعاء عند الله تعالى حسب زعمهم ويقربونهم إلى الله تعالى زلفى. قل يا محمد أتتخذون الآلهة شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون !

أما الله تعالى فإن له الشفاعة جميعاً، فلا يشفع أحداً عنده يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن عز وجل ويرضى، والله تعالى ملك السماوات والأرض ثم إليه نرجع جميعاً يوم القيامة.

وهكذا يتحوّل الحديث من الكافرين إلى ذكر بعض المظاهر الدالة على قدرة الله تعالى، معنوية تتمثل في القرآن الكريم، ومادية تتمثل في ذكر بعض مظاهر القدرة كخلق السماوات والأرض والناس والأنعام والنبات مع التركيز الدائم على يوم القيامة. ويتحوّل السياق إلى ذكر حال أخرى للمشركين. إن الله تعالى إذا ذكّر وحده اشأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وانقبضت. وإذا ذكّر الذين يُعبدون من دونه عز وجل إذا هم يستبشرون ويفرحون ! .

ويؤمر المصطفى ﷺ وكل مؤمن أن يدعو قائلاً : يا الله، يا فاطر السماوات والأرض عالم السرّ والعلانية أنت تحكم بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين. ولو أنّ للذين أشركوا ما في الأرض جميعاً من مال ومثله معه لافتدوا به أنفسهم من سوء العذاب يوم القيامة، ولكنّ مبدأ الفداء مرفوضٌ أساساً، وبدا لهم من عذاب الله تعالى ما لم يكونوا يحتسبون، وبدا لهم سيئات ما كسبوا في الحياة الدنيا ووجب عليهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الحياة الدنيا ويستعجلونه.

وعلى الرّغم من إصرار المشركين على شركهم فإنهم وقت الشدّة لا يعرفون إلا الله تعالى. فإذا مسّ الإنسان الكافر ضرٌّ في نفسه أو ماله أو جاهه وما إلى ذلك دعا الله تعالى وحده دون سواه. ثمّ إذا منحه نعمةً منه جلّ وعلا قال إنما أوتيت هذا الفضل

على علمٍ من الله تعالى بأنِّي لمواهي أستحقّ كلّ ذلك. بل الحقيقة أنّ النعمة اختبارٌ من الله تعالى لهم أيشكرون أم يكفرون، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون. لقد قال هذه المقالة المشركون السابقون فما نفعهم ما كانوا يعملون من سيئات، والمشركون من أهل مكة سيصيبهم جزاء ما كسبوا من سيئات وليسوا بمعجزين الله تعالى ولا فائتيه. ومن مظاهر الاختبار للمشركين ما يقدقه الله تعالى على الكافرين من مال. أجهل المشركون ولم يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى ييسط الرزق لمن يشاء اختباراً، ويضيق الرزق على من يشاء ابتلاءً؟ إنّ في ذلك لآيات دالّات على قدرة الله تعالى لقوم يؤمنون بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً .

ويصرّ الكافرون على كفرهم وعنادهم، ويسرفون على أنفسهم في ارتكاب الذنوب والآثام. وهنا تأتي آية كريمة من أرجى الآيات الكريمات في القرآن الكريم،

وهي الآية الكريمة الثالثة والخمسون: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ .

ومن مظاهر رحمة الله تعالى استمرار السّياق في إرشاد المسرفين على أنفسهم إلى طريق الخير. إنّ عليهم أن يرجعوا إلى ربّهم عزّ وجلّ ويخلصوا العبادة له من قبل أن يأتيهم عذاب يوم القيامة ثمّ لا ينصرون. وإنّ عليهم أن يتبعوا القرآن الكريم أحسن ما أنزل إليهم من ربّهم من قبل أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون لئلا تقول نفسٌ ياندامتي على ما قصّرت في حقّ الله تعالى وإني كنت لمن السّاحرين بيوم القيامة وبالعذاب. أو لئلا تقول لو أنّ الله تعالى وفقني للهداية لكنت من المتّقين عذاب الله تعالى. أو لئلا تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي عودةً إلى الحياة الدّنيا فأكون من المحسنين العمل.

بلى قد جاءتك آيات الكتاب العزيز فكذبت بها واستكبرت عن عبادتي و كنت من الكافرين.

ويستمرّ الحديث عن يوم القيامة وعذاب الكافرين وثواب المؤمنين إنك في يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله تعالى فأشركوا وجوههم مسوذة. أليس في جهنم مسكنٌ للمتكبرين؟ وينجيّ الله تعالى من العذاب الذين اتقوا بفوزهم وبما سبق إليه علم الله تعالى من سعادتهم، ولا يمسهم سوء العذاب يوم القيامة ولا هم يحزنون على الدنيا التي تركوها وراءهم.

ويعود السياق كعادته في السورة الكريمة إلى الحديث عن بعض مظاهر قدرة الله تعالى. إن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء حفيظ، وبيده عزّ وجلّ مفاتيح خزائن السموات والأرض فأفردوه بالعبادة أيها الناس. ويصرّ المشركون على شركهم. إن الذين كفروا بآيات الله تعالى أولئك هم الخاسرون حقاً.

ويبلغ المشركون درك الجنون حينما يأمرّون المصطفى ﷺ بأن يعبد غير الله تعالى! وكانّ الذي جرّأهم على هذا السفه قدرتهم على البطش بالمؤمنين قبل الهجرة. ويؤمر عليه الصلاة أن يُنكر على المشركين السفهاء هذا الجهل والحمق ويكون في المقابل من الحقّ جلّ وعلا التنبيه إلى أنّ الشّرك يحبط العمل والوعيد الشّديد للمشركين. ولقد أوحى إليك يا محمّد وإلى الذين من قبلك من الرّسّال والمرسلين لئن أشركت - على سبيل الافتراض - ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين في الآخرة. فعليكم أيّها المشركون أن تسلموا لله تعالى ربّ العالمين. بل الله تعالى وحده لا شريك له فاعبد يا محمّد وكن من الشّاكرين لله تعالى نعمه بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة. أما المشركون فإنّهم ما عظّموا الله تعالى حق عظّمته ولو عظّموه ما أشركوا. وكيف يعبدون الآلهة العاجزة ويشركونها في العبادة مع الله تعالى الذي الذي الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات

مطوياتٌ يمينه. تترّه الله وتعالى عمّا ألحق به الظالمون ممّا لا يليق بعظمته وجلاله. وهكذا نجد أنفسنا أمام ملابسات يوم القيامة.

ونفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النَّفخة الأولى فمات من في السّماوات والأرض إلّا من شاء الله تعالى من الملائكة والحوار والولدان. ثمّ نَفَخَ النَّفخة الأخرى نفخة البعث فإذا الخلائق منذ عهد آدم عليه السّلام قيام ينتظرون ما يفعل الله تعالى بهم. وأشرقَت الأرض بنور ربّها عزّ وجلّ الذي تجلّى للفصل بين الخلائق، ووضع كتاب الأعمال، وجيء بالتبيين وأمهم، وقضي بينهم بالحقّ، ولا يظلم أحدٌ بحذف حسنة أو إضافة سيئة. ووفيت كلّ نفسٍ جزاء ما عملت من خيرٍ أو شرٍّ، وهو أعلم بما فعلوا في الحياة الدّنيا.

وسيق الذين كفروا إلى جهنم يعنف فدخلوها. وحُشِرَ الَّذِينَ اتَّقُوا إِلَى الْجَنَّةِ بِلُطْفٍ فَدَخَلُوهَا.

وهكذا نال كلٌّ من الفريقين جزاءه. فعلى الكافرين أن يهتبلوا الفرصة وأن يتوبوا إلى الله توبةً نصوحاً.

وبعد أن استقرّ أهل النَّار في النَّار بعدل الله تعالى . واستقر أهل الجنّة في الجنّة بفضل الله تعالى قال الكون كلّ، ناطقه وصامته، ما خُتِمَتْ بِهِ السُّورَةُ الْمَكِّيَّةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

١٥- ممّا سبق يتبيّن أنّ المحور الذي تدور حوله سورة الزّمر الكريمة توحيد الله تعالى وعبادته عزّ وجلّ وحده دون سواه، عن طريق الاهتداء بالقرآن الكريم، الذي تبينه سنة المصطفى ﷺ . ولما كان الكافرون في مكّة قبل الهجرة كثيرين وكانت شوكتهم قويّة، وكان المؤمنون أقلّ عدداً وعدّة، فقد كان الإنذار هو

الغالب على السّورة الكريمة. وكانت السّورة الكريمة تقارن بين حال المؤمنين المتّقين ومآلهم وبين حال الكافرين المستكبرين ومآلهم. وهي تذكر الصّفة السيّئة للكافرين إثر الصّفة السيّئة وذلك في مقابل الصّفة الحسنة للمؤمنين. ويتخلّل الحديث عن تلك الصّفات ذكر بعض الآيات الدّالة على القدرة المطلقة للذّات العليّة. وهي في مجال المعنويّات القرآن الكريم. وهي في مجال المحسوسات الكون كلّه بسمائه وأرضه وما بينهما. وكان التّركيز في أثناء السّورة الكريمة على يوم القيامة وما يصادفه المشركون من عذابٍ أليم، وذلك في مقابل النّعيم المقيم للمتّقين. والأرض جميعاً قبضة الله تعالى يوم القيامة، والسّموات مطويّاتٌ بيمينه فله تعالى ملكوت السّموات والأرض وما بينهما في الأولى والآخرة.

ويكون في نهاية السّورة الكريمة الحديث الخالص عن ملابسات يوم القيامة وما يصادف الكافرون من عذاب والمؤمنون من ثواب. إنّ على الناس جميعاً أن يسلموا لله تعالى القادر على كلّ شيء ويتركوا عبادة الآلهة التي تأكد عجزها، وأن يتبعوا الرّسول الأمّيّ ﷺ ، وأن يهتدوا بالقرآن الكريم الذي تبينه سنّة المصطفى ﷺ ، وأن يعملوا الصّالحات التي يريدون بها وجه الله تعالى كي يدخلوا يوم القيامة جنّات النّعيم بفضل الله تعالى .

ثانياً
سورة غافر

﴿٦١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٦٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ
 شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿٦٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ
 اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ﴿٦٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
 وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
 عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ
 يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ
 شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٧﴾
 رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
 وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ
 السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى
 الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
 بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٧١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ
 كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُوِّمْتُمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿٧٢﴾ هُوَ الَّذِي
 يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ
 ﴿٧٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٧٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ

ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾
يَوْمَ هُمْ بَدْرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
﴿١٦﴾ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْأُصْدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ
اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ
تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ
وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا
أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ
عَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَنْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا
يُصِيبَكُمْ بِعَظْمِ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾
يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُّ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي
أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ أَتَبْعُونَ أَهْدِيكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٤١﴾ * وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾
 تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
 الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
 الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾
 فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفِئُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
 ﴿٤٥﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
 النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
 الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
 ﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدِ احْكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ
 ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ
 الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَكُنْ نَائِبِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا
 فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٢﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٤﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ

وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي
صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَةَ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ
لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَم
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ
الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ
إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي
وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّتُ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ هُوَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا
أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذِ الْأَعْدَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ
شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ
مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي
نَعُدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا يَرْجِعُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ
قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٨٨﴾
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَكُمْ
فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
﴿٩٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٩١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً

وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ
يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

بين يدي التفسير

(١)

" الكتاب العزيز تنزيل الله تعالى مثير التائبين بالجنة

ومعاقب المستكبرين بالنار "

الآيات (١ - ٩) .

سورة غافر أولى سور آل حم السبع . وبشأن الحروف المقطعة من العلماء من قال :
الله أعلم بمراده بذلك . ومن العلماء من ذهب إلى أنها إيماء إلى التحدي بالقرآن الكريم .
إن هذه الحروف التي تتألف منها كلمات القرآن الكريم هي التي تتألف منها الكلمات
على ألسنة العرب ، ولكن القرآن الكريم نسيج وحده ويأتي الانتصار للقرآن الكريم على
الفور . إن تنزيل هذا الكتاب الحكيم ، من الله تعالى العزيز في ملكه العليم الذي لا يخفى
عليه شيء . وتسبق رحمة الله تعالى غضبه . وتأتي صفتان للرحمة والثواب وصفتان
للغضب والعقاب . إن الله تعالى غافر ما سبق من ذنب ، وقابل ما تبع من توبة ، شديد
عقاب من أصر على شركه وذنبه ، ذو القدرة والقوة على فعل ما يريد . إنه عز وجل لا
راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، لأنه هو الله الذي لا إله إلا هو إليه المصير في الآخرة
فيثيب المحسن بإدخاله الجنة ، ويعاقب المسيء بإدخاله النار .

وعلى الرغم من إدراك الكافرين هذه الحقائق هم يشركون مع الله تعالى في العبادة
الالهة العاجزة ، ويجادلون في آيات الله تعالى وحججه الدالة على وحدانيته بالإنكار لها
فلا يصرفك يا محمد عن معرفة حقيقة أقدار المشركين وهوانهم على الله تعالى ولا يغررك
أسفارهم من بلد إلى بلد وإمهال الله تعالى لهم فإن ذلك متاع قليل ونعيم زائل ينتهي
عمومهم ثم مصيرهم إلى النار وبئس القرار . إن عليك يا محمد أن تصبر فإني سوف أنصرك
وأهلك أعداءك ، وإن لك أسوة في المرسلين السابقين الذين نصرتهم وأهلك أعداءهم

لقد كذبت قبل قومك قوم نوح أول رسلي، وكذب الكافرون المتحزبون على الباطل ضد رسلي، وهمت كل أمة أن تأخذ رسولها فتقتله، وجادلوا بباطلهم وشركهم لكي يدحضوا الحق وينصروا الشرك فأخذتهم بالعذاب الأليم والأخذ الأكيد. فكيف كان عقابي لهم؟ لقد كان شديداً وأكيداً. وبالإضافة إلى خزي الدنيا وجبت كلمة ربك يا محمد على الذين كفروا أنهم أصحاب النار بسبب شركهم وخروجهم عما تتسم به السماوات والأرض وكل شيء من التسييح بحمد الله تعالى، وإن كنا نحن البشر لا نفقه تسييحهم.

إن الذين يحملون العرش ومن حول العرش من الملائكة يسبحون بحمد ربهم عز وجل، ويوحّدونه ويفردونه بالعبادة، ويسألون الله تعالى أن يغفر للذين آمنوا ذنوبهم، ويقولون يا ربنا: لقد وسعت رحمتك كل شيء، وأحاط علمك بكل شيء، فاغفر يا الله للذين تابوا توبة نصوحاً، واتبعوا سبيلك فكانوا مسلمين لك يا رب العالمين، وقهم عذاب الجحيم واصرف عنهم عذاب النار.

يا ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم في الدنيا بدخولها هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم كي يتم نعيمهم ويكمل هناؤهم. إنك أنت العزيز في ملكك الحكيم في صنعك. وقهم السيئات فجنبهم إتيانها وتبعاتها ومن تق السيئات يوم القيامة فقد رحمته، ومن أدخلته الجنة فقد فاز. وذلك حقاً هو الفوز العظيم والنجاح الكبير.

(٢)

" الله تعالى الواحد القهار السريع الحساب يحكم

يوم القيامة بين الخلائق بالعدل "

الآيات (١٠ - ٢٢) .

إنّ الذين كفروا وقد مقتوا أنفسهم وأبغضوها أشدّ البغض لدخول النار تناديهم ملائكة العذاب لمقت الله تعالى لكم في الدنيا، بسبب شرككم وكفركم، أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، إذ كنتم تُدعون في الدنيا إلى الإيمان فتكفرون. ولجأ الكافرون إلى الأسلوب اللطيف وجعلوه تمهيداً لطلبهم المرفوض أصلاً وهو أن يخرجوا من النار ويعودوا إلى الدنيا كي يعملوا صالحاً . قالوا يا ربنا لقد أمّتنا مرتين حينما كنا نطفأ في الأصلاب وبعد الحياة، وأحييتنا مرتين بالولادة والبعث، وأنت على كلّ شيء قدير، وقد اعترفنا بذنوبنا وارتكابنا الذنب الذي لا يُغفر وهو الشرك فهل لنا إلى خروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا من سبيل كي نعمل غير الذي كنّا نعمل. لقد كان الجواب بالرفض القاطع. ليس إلى خروجكم من النار من سبيل.

إنّ رفض طلبكم بسبب أنّه إذا دُعِيَ اللهُ تعالى وحده لا شريك له في الدنيا كفرتم ورفضتم التوحيد، وإن يشرك به عزّ وجلّ تصدّقوا الشرك وتباركوه. فالحكم اليوم لله تعالى العليّ الكبير الذي قضى بخلودكم في النار.

إنّ عليكم أيّها الناس جميعاً أن تهتبلوا الفرصة وتبادروا إلى اعتناق دين الإسلام وتوحيد الله تعالى الذي يريكم آياته في السماوات والأرض ويترّل لكم من السماء ماءً جعل منه عزّ وجلّ كلّ شيء حيّ من إنسانٍ وحيوانٍ ونبات. إنّ الذي يستفيد من هذه